علي الجندي "للهدف":

الشعر الجديد هو فعل ثورة

الشاعر الجديد انسان ثوري وبالتالي ملتزم بايقاع ثوري في كتابة الشعر

بالنسبة لي احاول ان اواسي حياتي بالحلم ، حياتي فقط ، انها فاجعة حياتنا ، حياتي على الاقل ، ان حلمنا لم يعد حلما ، صار مجرد رغبات صغيرة ، كوابيس . عندما اكتب قصيدة ، لا يخطر لي ان اضع مخططا ما . بعض الشعراء يكتبون القصيدة وفق مخطط مسبق ، وشعراء آخرون يكتبونها وكأنها تندفق عليهم ، هذا لا يعني الوحي بشكل غيبي ، لكنني اعرف اللاوعي ، وهو جزء من شخصية الانسان ينفجر جانب منه ، فتأتي القصيدة في النهاية .

انا كأي انسان عربي ، مسكون بهذه العبارات ، القمع ، الرغبة ، الرعب ، الكبت ، احيانا الجنون ، انا بحاجة احيانا ، الى العودة لتأمل القصيدة من جديد ، لاعرف كيف أتت كل هذه الاشياء الكامنة في اللاوعي العربي العام . فنحن كعرب مورس علينا القمع منذ الولادة ، القمع في الاسرة ورائة ، في المدرسة وفي العمل ، نحن استهلكنا انفسنا في ممارسة الجسد ونظل مكبوتين في الاعماق ، قصيدتي تأتي ممثلة للعربي ، تشكل نتيجة لكل هذا الموقف العربي العام .

– نتيجة البرامج القمعية والتجهيل التي تمارسها الانظمة لعزل الجماهير عن الثقافة الحية ، تكاد هذه الجماهير ان تكون في حالة تكلس ثقافي تمنعها من التواصل مع الشعر الجديد والفنون الابداعية بشكل عام كيف يمكن تخليص الشعر وجمهوره من هذه الحالة او هذا المأزق ؟

● هذا سؤال عام . طبعا الاوضاع الراهنة مسؤولة عن هذه الحالة ، السلطة تتبنى فنانين وشعراء وتجعل منهم رعايا مدجنين ، بينما الجماهير تريد فنانا يشكل مرآة لها ، يرى الناس فيه انفسهم . لست متشائما ، عندي الاحساس بان الجماهير بدأت قليلا ، قليلا ، تهدم الجدار بينها وبين المبدعين الحقيقيين .

– البعض يطالب الشعراء بكتابة قصائد مباشرة ، تتضمن الشعارات السياسية ، المرحلية وغير المرحلية ، وذلك بحجة ان هذا النمط يخدم الجماهير ونضبتها ، ما رأيك بهذه الدعوة ؟

● في الخمسينات كانت هناك ، خصوصا بين اليساريين ، تشيع فكرة اننا يجب ان نتحدث بلغة الجمهور ، يجب ان نصل للناس بلغة معقولة بسيطة ، واكثر من شاعر يساري تحدث عن هذا الموضوع بطريقة منطقية ومعقولة ، وفي تقديري ان المهم هو ان تشعر الناس ، بانك ملتزم بقضيتهم ، ليس بنوع من التعالي ، أو بنوع من الفوقية ، هذا الكلام خطأ .

نرودا كان يلقي قصائد ، في اجتماع لعمال مناجم النحاس . وجاء صحافي اميركي لئيم ليقول له « شعرك صعب ، واعلى من مستوى الجمهور ، فيه سوريالية كثيرة ، فكيف يحييك الجمهور بهذه الحرارة ؟ » فقال له : لان الجمهور يعرف ، ولو لم يدرك فحوى ما اقول مباشرة ، يعرف انني احبه واخلص له ، وانني متين لقضيته ، ولذلك ، وبنوع من الحدس الجماعي ، هم يحبونني ويحتفون بي ويصفقون لي بحرارة ..

– قصيدة النثر ، استطاعت ان تقتحم الساحة الشعرية ، برغم اعتراضات سدنة الشعر العمودي ، من الذين ما زالوا « يعششون » في الجامعات ، وبعض الصحف والمجلات الادبية . هل تعتقد أن قصيدة النثر ، هي بديل القصيدة الحديثة الموزونة ؟.

● قصيدة النثر ، أو القصيدة التي تسير على ايقاع ما ، ولا اقول وزنا ، لها ايقاع . ليس بينهما تعارض . ان تكون الواحدة بديلا للاخرى . ان قصيدة النثر شعر ، وشعر عظيم جدا احيانا ، في كل بلاد العالم . هناك لنقل فاليري وبريتون ، في بعض قصائده ، وفلوبير كتبها ، حتى بودلير له قصائد نثرية . النوعان موجودان ولا يتعارضان .

أما قضية الشعراء الذين « يعششون » في الجامعات ، فعلا هناك كثير منهم ، ولا يذكرون القصيدة النثرية الا في مجال السخر . ما زالت اسوار الجامعة تحجب عبر امثال هؤلاء « الديناصورات » كل تطور القصيدة الحديث منذ ثلاثين عاما . علما أن ما مر على القصيدة عند السياب والملائكة ليس كافيا لاعطاء حكم كامل .

القصيدة النثرية موجودة منذ بداية الشعر الجديد . مجموعتي الاولى ، في نهاية الخمسينات ، اكثر من نصفها نثريا . محمد الماغوط كان موجودا قبل ذلك . قصيدة النثر الجيدة مهيأة للحياة ، مثل القصيدة الحديثة . ولا ضرورة لان تكون بديلة عن قصيدة التفعيلة . ان قصيدة النثر شعر ، واحيانا اجمل من القصيدة الموزونة .

– هناك من يدعو للكتابة باللهجات العامة ونبذ اللغة الام ، بحجة ان هناك فواصل بيننا وبين اللغة الفصحى ، فواصل كرسها هذا السبب او ذاك ، أو كون هذه اللغة تعيش معنا يوميا ، لذلك فهي تحمل مناخ النفس والفكر . ما رأيك ؟.

● تهمة لما كنت اقول ، اني أعتبر ان الطريقة في التعبير ، من خلال مادة جيدة ، من خلال موقف انساني عظيم ، مبررة . يعني ان تكتب بالعامية ، بالفصحى ، أو بأي شيء ، انا لست ضد أي شيء من هذا . قصيدة النثر ، وحتى الزجلية ، عندما تكون مكتوبة من خلال شاعر جيد ، موهوب ، يمكن ان تكون جيدة ، مقبولة ورائعة .

مظفر النواب ، طلال حيدر ، كتبا بالعامية ، فارنهما بأي شاعر كبير ، وستجد ان المهم ليس اللغة التي تكتب بها ، المهم هو المعنى والمستوى .

ان نوعا من التعصب القومي ، يعتبر لغتنا هي الرابط الوحيد بيننا ، غير صحيح . المهم أن تبدع شيئا عظيما . انا لست ضد الكلاسيكية . ولكن يخيل الي ، ان الشاعر الكلاسيكي ، احيانا ، بالعباءة والعقال ، وبتبجح انه يلبس الزي العربي .

انا افهم العروبة شيئا ديناميكيا ، متحركا ، متطورا ، منسجما مع العصر .

لغة العربي ، الذي يعيش هذه المرحلة ، المهم ان تكون لغة متقنة ، وان يعطي شيئا عظيما ، بغض النظر عن الاسلوب الذي كتب به .

طلال حيدر (شاعر لبناني يكتب بالعامية) شعره من اجمل الشعر في العالم . وهكذا مظفر النواب في قصائده القديمة ..

– كان للشعر حضور يومي في الخمسينات والستينات ، ولم يتم هذا التواصل مع الجماهير في السبعينات . هل قل مستوى الحضور الشارعي للشعراء ، أم صودر هذا الحضور لمصلحة مؤسسات السلطة الاعلامية . يبدو أن بعض الشعراء قابلون بها آل اليه وضع علاقتهم بالجماهير . فهل تآمر الشعر مع السلطة لمصلحتها ، ام انه تعب المرحلة والشعور بالاحباط ؟

● اولا ، لم يكن للشعر حضوره في الخمسينات كما تقول ، انا اذكر تلك المرحلة تماما . لانني ، بطريقة ما ، كنت واحدا من هؤلاء الشعراء . في الستينات ، فعلا ، كان للشعر حضورا أكثر من الخمسينات والسبعينات .

في الستينات ، كانت بعض السلطات ، متآمرة ، من حيث هي تدري أو لا تدري ، مع الشعر الجديد ، افسحت في المجال للشعراء الجدد بأن يكثروا من النشر والامسيات .. الخ . في بعض الاقطار على الاقل .

وهكذا ترك للشعر ، عبر هذه البقع من الضوء ، هذه الفسح الصغيرة ، في بيروت خاصة ، ان يسهم حتى في معركة الواقع مباشرة .

انا اعتقد ان السلطة في بلادنا ، تسعى جاهدة ، احيانا بذكاء ، بغبث ، بثعلبية ما ، لتوظف الشعر والشعراء لمصلحتها فقط . وقد استطاعت فعلا ان تدجن « كمية » كبيرة من الادباء والشعراء ، الشعراء بشكل خاص .

اتحاد الكتاب ، في بلد ما ، فيه حوالى ثلاثماية كاتب ، معترف بهم رسميا . مئة منهم على الاقل لا علاقة لهم بالكتابة اطلاقا . بعضهم يكتب في الجغرافية ، وآخر في الاقتصاد والتاريخ .. الخ . مع ذلك ، فقد نشد – برأي السلطة – عن هذه « الكمية » من الادباء المدجنين هؤلاء « الناشدين » ربما كانوا قلة . ولكنهم ، في أي بلد كانوا ، هم القلة المعاقة ، هم المستقبل ..

هناك شاعر رسمي يقول : من كان في قعر الحفرة ، لا يمكن ان يسقط اكثر . نجد مقابلا له شاعرا كممدوح عدوان او نزيه أبو عفش ، يرفض حتى ان يطل على الحفرة ، يرفض السقوط ، رغم أنه يعرض نفسه للكثير من المتاعب ، المادية والمعنوية والنفسية .

الشعر الحقيقي لا يزال مع الناس . بدليل – مثلا – ان كثيرا من القصائد ، ولنسمها رافضة ، تتداول باشرطة كاسيت ، تتداول باوراق بسيطة ، تنتقل من يد ليد .

قيل لي ان قصيدة لي عن تل الزعتر ، لم يسمعها سوى بضعة اشخاص في لبنان وسورية ، ان شريطا مسجلا يضمها مع قصيدتي عن غسان كنفاني يتداول بشكل عجيب في المملكة السعودية مثلا ولم ار انسانا جاء من هناك الا وقال لي : لقد سمعت قصائدك وبكيت .. كذا .. حتى في مصر وزع من هذا الشريط عشرات النسخ . ولقد وصلتني رسائل تطالبني بالمجموعة التي نزلت فيها « تل الزعتر » وهي لم تنزل في أية مجموعة حتى الان . وان كنت واثقا من اقتراب اليوم الذي سأستطيع أن أنشرها فيه وقصائد اخرى اقسى بكثير مما تعرفون .

المرحلة الان اكثر خبثا وتعلبية ، في محاولة تدجين الفنانين . حتى لو قبل الكثيرون أن يرضخوا او يتعبوا ، يبقى ولو عشرة فنانين يرفضون ذلك ، وهذا يكفي للتفاؤل ولتحدي اية سلطة بالتفاؤل ، حتى في ساعات الغم القاتل . عندما تبتسم ، لكأنك تقول لاي حاكم : هاأنذا موجود ومستمر ..

– المرأة لديك عالم ، فهل تتزاوج لديك خارطة العالم – المرأة ، مع خرائط أخرى ، ولتقل على طريق آراغون ؟

● ان مجموعتي الرابعة والخاصة « الحمى الترابية » كان اهداؤها : « الى أمي ، لانها جزء من تالوث حياتي ، المرأة والارض والذات الحاضرة » .

الشاعر الذي يتحدث عن المرأة باستمرار ، عبر الصورة التقليدية ، بهيئتها . هناك آلاف الشعراء ، في التاريخ العربي ، تغنوا بالمرأة كثيرا ، دون أن يتجاوزوا أنوثتها .

صديقنا نزار قباني ، يقال عنه شاعر المرأة . وانا اقول انه شاعر ديكور المرأة ، تحدث عن كل شيء ، ولكنه لم يتحدث عن اعماق المرأة . تحدث عن عطرها وفستانها وعينيها ، ولكنه لم يقل ما هي المرأة ، ككيان انساني ، مثلها مثل الرجل .

الشاعر الذي لا يستطيع أن يرى في المرأة وطنه ، أن يرى ذلك الاحساس بما وراء الاشياء فيها ، يكون في حالة هجوم على المرأة ، حالة الرجل الشرقي الطافية والسخيف . نزار لو استمر على نسق قصيدة قديمة له « حبلى » لكان قد طور في مضمون شعره حول المرأة ، ولكنه لم يفعل .

– نعرف انك كنت قريبا جدا من غسان كنفاني ، عايشته طويلا وعرفته عن قرب . هل لك أن تحدثنا عنه ؟.

● أعتقد ان الحديث عن غسان من اصعب الاشياء . فبغض النظر عن شخصيته الفنية ، هناك العلاقة الانسانية .

الحديث عن غسان ، هو اكثر من الحديث عنه كفنان . عندما أستعيد صورة غسان كانسان ، بكل معنى الانسان ، وليس ككيان مكون من غير الاشياء التي يتكون منها الناس ، لا أريد أن احكي ميتافيزياء (ما ورائيات) انما استعيد الصورة كخيال وكمعنى . كنت أتصور ان اعصابه نوع من الاوتار ، ان عضلاته ، مثلا ، نوع من الصحائف او الكتب .

كانت صداقتنا نحن الاثنان ، نوعا من « الصملكة » بمعناها الجميل .. الحافلة بكل معاني الاحترام المتبادل ، والذي لا يعبر عن نفسه احيانا الا بالشتائم .

سكنا معا فترة من الزمن ، حتى تزوج . كان يعرف كل حالاتي الحزينة . والتي تصل احيانا الى درجة اليأس . وأعرف كل حالاته الحزينة والمتمردة على الحزن . والمتمردة على المرض . أظن ان ذلك واضح الى حد ما في قصيدتي عنه . أذكره عندما كان يتأخر عن اخذ الابرة ، التي كان يأخذها بنفسه . وأذكر ذلك التعب الانساني الشفيف ، الواقف عند حدود الخوف . وكنت أعرفه بادق لحظاته العاطفية . وعندما توارى غسان كبشر بقي منه الفنان .

لقد أعطى الكثير . لدي احساس ان الزمن لم يمنحه الفرصة الكافية ليعطي اكثر ، كان كيانا ممتلئا بالطاقات .

أذكره يوم توفيت والدته وجاء ...

اعذروني ، لا استطيع التكلم اكثر عن غسان الان ، عندي رغبة ان أعبر عن كل مشاعري وكل تجربتي معه في كتاب (ربما في احد الايام) . قد لا أكون المهيأ للكتابة عنه ، لكن لا بد من تجربة سنين مع غسان ، تجربة يومية ودائمة ، من ان يكتب عنها أكثر ويحكي عنها أكثر ..

هل الحداثة توافق المضمون المعنية به القصيدة الحديثة، الملتزمة بخط النهوض ، الذي يرافق نهوض حركة الجماهير ، أم ان الحداثة تلتزم الشعر شكلا ومضمونا ، لخدمة غرض الالتزام ، الذي يرهص به الفن عموما كاطار لمجموع الانشطة ، حيث يندرج الشعر في أهم عطاءاته ؟

● مبدئيا ، أعتقد ان من الاشياء التي كانت تزعجني كثيرا ، سلوكيات بعض السياسيين الثوريين ، كان يضايقني منهم احيانا ، انهم يسخرون من الشعر الجديد . على الاقل قبل عشرين سنة ، وحتى الان موجودة هذه الحالة احيانا .

يقولون : الشعر هو الشعر الذي تعلمناه . الشعر هو الشعر التقليدي . وكنت اقول ، احيانا بعصبية وغضب ، كيف تكون ثوريا في كل شيء ، في تغيير الاقتصاد والمجتمع ، وترفض ان تغير في الشعر . فحركة الشعر الجديد هي جزء من ثورة عند الشعراء الحديثين الجدد الحقيقيين . هم ثوريون بطبيعة تكوينهم ،ولهذا ناروا على شيء مفروض عليهم انه يجب ان يكون هكذا .. الشعر الجديد ليس مجرد تغيير في استعمال التفعيلات والقوافي ، وتبقى الصياغة واللغة هي هي . الشعر الجديد نوع من الثورة على الاساليب القديمة ، هو استعمال جديد للغة العربية ، بطريقة جديدة وصياغة جديدة ثم بالتالي ، اذا كان الشاعر حقيقيا ، وانطلق الى الشعر الجديد ، من خلال أنه سيقوم بثورة داخل الشعر ، قطعا سيكون له بسيكولوجية ثورة ايضا ، وبالتالي أنا استغرب جدا كيف يمكن ان يكون هناك شاعر حديث جديد ، وهو في نفس الوقت ملتزم بالدولة ، او بأنه سلطة في العالم ، يركع أمام السلطة او يداهن لابة سلطة .

ان كتابة القصيدة الحديثة ، هي أصعب بكثير من كتابة القصيدة التقليدية . الشعر الجديد هو نتيجة لتطور حالة ثورية عامة في المنطقة ، في الاقتصاد والمجتمع و .. أي أصبح هناك مناخ ثوري ملائم .

عندما نار بدر شاكر السياب او خليل حاوي او انا او اي شاعر حديث آخر ، ليس لانهم ضد الشعر العربي القديم .

الشعر العربي القديم مر بمثل هذه المراحل . حيث تأثر بالتطورات الاقتصادية والاجتماعية ، فكان شعرا ثوريا ثم ، مع الزمن أصبح تقليديا .

تأزك الملائكة يقال انها من رواد الشعر الجديد . هذا جميل . لكنها بعد سنوات اتكفأت على نفسها واصبحت تقليدية بنفسيتها ورجعية في فكرها . وبالتالي لم تكتب شعرا جديدا وصارت ضد الشعر الجديد ..

الشاعر الجديد انسان ثوري وبالتالي التزم بايقاع ثوري في كتابة الشعر .

■